الفصل الثالث

فضل الإخلاص وخطر الرياء

● فضل النيَّة والإخلاص :

لا غرو - إذا كان هذا شأن النية وأهمية الإخلاص - أن تتكاثر النصوص من القرآن والسُّنَّة في بيان فضلهما ومنزلتهما في الدين .

وقد أمر الله في كتابه بالإخلاص ، وحثَّ عليه في أكثر من سورة ، وخصوصاً في القرآن المكي ؛ لأنه يتعلق بتجريد التوحيد ، وتصحيح العقيدة ، واستقامة الوجهة ، فقال تعالى لرسوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلَا لله الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (١) .

وقال له : ﴿ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ (٢) .

وقال له : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ (٥) .

---

(١) الزمر : ٢ - ٣ (٢) الزمر : ١٤ - ١٥ (٣) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

(٤) البينة : ٥ (٥) النساء : ١٢٥

وقال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (١) .

وقد بيَّنا أن القرآن يذكر النية والإخلاص بصيغ مختلفة ، مثل : إرادة الآخرة ، وإرادة وجه الله تعالى ، أو ابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته ، وذكرنا من آيات كتاب الله ما يدل عليه .

وأحياناً يُعبِّر عن ذلك بقوله : ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ وخصوصاً مع الإنفاق والجهاد والقتال . وقد صح الحديث أن القتال لا يكون في سبيل الله ، إلا إذا كان هدفه وغايته : أن تكون كلمة الله هي العليا ، ومثل ذلك يقال في الإنفاق والجهاد بكل صوره ، فلا يكون ذلك في سبيل الله ما لم يتحرر المقصود منه ، وهو إعلاء كلمة الله .

وقد بيّن القرآن الفرق بين غاية المؤمنين وغاية الكافرين في قتالهم ، فقال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ (٢) ، فالأولون يقاتلون لإعلاء كلمة الله ، وهي كلمة التوحيد والحق والعدل والخير ، التي تتمثل في دينه وشرعه ، والآخرون يقاتلون ، لإعلاء كلمة الطاغوت ، وهو كل ما يُعبد أو يُعظَّم ويُطاع طاعة مطلقة من دون الله ، وهي كلمة الشرك والباطل والظلم والشر والطغيان .

وكم أشاد القرآن بالمخلصين الذين لم يريدوا بأعمالهم إلا وجه الله تعالى ، يبتغون مرضاته ، ولا يركضون وراء رضا الناس وثنائهم .

من هؤلاء : الأبرار الذين يُطعمون الطعام لوجه الله ، لا يريدون من أحد جزاءً ولا شكوراً ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ من كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُم جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾ (٣) .

---

(١) الكهف : ١١٠ (٢) النساء : ٧٦ (٣) الإنسان : ٥ - ١٠

ومن هؤلاء : المنفقون أموالهم فى سبيل الله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

ومنهم : الذين أمر الله خاتم رسله ، وصفوة خلقه ، أن يصبر معهم ، ولا تعدو عيناه إلى غيرهم من أصحاب البريق الذى يخطف الأضواء ، فقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

ومنهم : أولو الألباب ، الأوفياء بعهد الله ، الذين صبروا على طول الطريق ، وعلى أذى قُطَّاعه ، وكان صبرهم ابتغاء وجه الله ، لا طلباً للثناء ، ولا مخافة من ذمهم ، ولا جرياً وراء دنيا ، ولهذا مدحهم الله بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٣) .

ليس المهم أن تعمل العمل ، إنما المهم أن تبتغى به وجه الله سبحانه ، وبذلك تضمن قبوله عند الله ، والمثوبة عليه فى الآخرة . يقول تعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٤) .

ومن الأحاديث التى تُذكر هنا : ما جاء فى الترغيب فى الحب لله ، والبغض لله ، والعطاء لله ، والمنع لله ، فذلك كله بعض مظاهر الإخلاص ومعانيه .

فعن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال : « مَن أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الإيمان » (٥) .

---

(١) البقرة : ٢٦٥ (٢) الكهف : ٢٨

(٣) الرعد : ٢٢ (٤) النساء : ١١٤

(٥) رواه أبو داود والضياء ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٥٩٦٥) .

وعن أنس عن النبى ﷺ : « ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر ، بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُقذف فى النار » (١) .

وعن ابن مسعود وابن عباس والبراء مرفوعاً : « أوثق عُرا الإيمان : الموالاة فى الله ، والمعاداة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله » (٢) .

وفى الحديث القدسى عن عبادة بن الصامت : « قال الله تعالى : حقت محبتى للمتحابين فىّ ، وحقت محبتى للمتواصلين فىّ ، وحقت محبتى للمتناصحين فىّ ، وحقت محبتى للمتزاورين فىّ ، وحقت محبتى للمتباذلين فىّ ، المتحابون فىّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصِّدِّيقون والشهداء » (٣) .

ومن ذلك : الأحاديث التى تُنوِّه بالمغمورين الذين لا يتبوؤن المراكز الاجتماعية المرموقة ، ولا يتمتعون بصيت ولا شهرة .

كما فى حديث أبى هريرة فى صحيح مسلم : « رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبرَّه » . وفى رواية الحاكم : « رُبَّ أشعث أغبر ذى طمرين ، لا يؤبه له ، تنبو عنه أعين الناس ، لو أقسم على الله لأبرَّه » (٤) .

---

(١) متفق عليه . اللؤلؤ والمرجان (٢٦) .

(٢) رواه الطيالسى والحاكم والطبرانى فى الكبير والأوسط عن ابن مسعود ، والطبرانى عن ابن عباس ، وأحمد وابن أبى شيبة وابن نصر عن البراء كما فى صحيح الجامع الصغير (٢٥٣٩) .

(٣) رواه أحمد والطبرانى والحاكم عن عبادة ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٤٣٢١) .

(٤) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى (٤/ ٣٢٨) .

وحديث سهل بن سعد عند البخارى ، قال : « مرَّ رجل على النبى ﷺ ، فقال لرجل عنده جالس : « ما رأيك فى هذا » ؟ قال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حرىّ إن خطب أن يُنكح (أى يزوَّج) ، وإن شفع أن يُشفَّع ! فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجل ، فقال رسول الله ﷺ : « ما رأيك فى هذا » ؟ قال : يا رسول الله ؛ هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا أحرى إن خطب ألا يُنكح ، وإن شفع ألا يُشفَّع ، وإن قال ألا يُسمع لقوله ! فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » ! (١) .

وحديث ثوبان : أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن من أُمتى مَن لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ، ولو سأله درهماً لم يعطه إياه ، ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله الجنَّة لأعطاه إياها » (٢) .

ومن الآثار فى ذلك : ما كتب به عمر بن الخطاب إلى أبى موسى يقول : مَن خلصت نيَّته لله ، كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس .

وكان مطرِّف يقول : مَن صفا صفى له ، ومن خلط خلط عليه .

وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ، ويقول : يا نفس أخلصى تتخلَّصى !

وكتب بعض الصالحين إلى أخ له : أخلص النية فى أعمالك يكفك منها القليل .

وقال الجنيد : إن لله عباداً عقلوا ، فلما عقلوا عملوا ، فلما عملوا أخلصوا ، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع .

* *

(١) رواه البخارى فى صحيحه (البخارى مع الفتح : ٩/ ١١٧ ، ١١/ ٢٣٦) ولم يروه مسلم كما وهم المنذرى فى الترغيب والترهيب ، والنووى فى رياض الصالحين .

(٢) قال العراقى فى تخريج « الإحياء » ، رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد صحيح .

● **التحذير من الرياء :**

وكما حفلت نصوص الكتاب والسُّنَّة بالترغيب فى النية والإخلاص والصدق ، حفلت كذلك بالترهيب والتحذير من آفة الرياء ، وابتغاء وجه الناس - لا وجه الله - بعمل الآخرة .

كما حذَّرت ورهَّبت من أمر آخر ، هو : حب الجاه والشهرة والمنزلة فى قلوب الخلق .

* *

● **القرآن يُحذِّر من الرياء والمرائين :**

إن الرياء من معاصى القلوب الشديدة الخطر على النفس وعلى العمل ، وهو من الكبائر الموبقة ، ولهذا اشتد الوعيد عليه فى القرآن والحديث .

لقد جعله القرآن من أوصاف الكَفَرة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، أو المنافقين الذين يقولون : آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم .

يقول تعالى : ﴿ كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ، وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقال فى سورة أخرى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً ﴾ (٢) .

فهذا رياء الكفار الذين لا يؤمنون بالمبدأ ولا بالمعاد ، فلا يُتصور منهم أن يعملوا لله ولا للدار الآخرة .

---

(١) البقرة : ٢٦٤ (٢) النساء : ٣٨

وإذا كانت نفقتهم رياء ، فإن خروجهم للقتال والغزو رياء كذلك ، لا نصيب فيه لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ (١) .

وأما المنافقون فقد قال تعالى في شأنهم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَاةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (٣) فتوعدهم الله تعالى بالويل ، وهو الهلاك والعذاب .

* *

● الأحاديث النبوية تُرهِّب من خطر الرياء :

وأما الحديث فكثير ، أكتفي منه بما انتقيته من كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري .

فقد ذكر في « الترهيب من الرياء » جملة من الأحاديث ، انتقيت منها عشرة (٤) ، بدأها بالحديث الخطير ، الذي رواه مسلم وغيره ، ونصه في صحيح مسلم :

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قال : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ . قَالَ : كَذَبْتَ ،

---

(١) الأنفال : ٤٧ (٢) النساء : ١٤٢ (٣) الماعون : ٤ - ٧

(٤) أعني في كتابي « المنتقى من الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري .

ولكنَّكَ قَاتَلْتَ لأنْ يُقَالَ : هُوَ جَرِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا . قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قال : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قال : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : ما تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قال : كَذَبْتَ ، وَلَكِنكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ » (رواه مسلم والنسائي ، ورواه الترمذي وحسَّنه ، وابن حبَّان في صحيحه ، وكلاهما بلفظ واحد) .

أقول : وفيه أن معاوية لما بلغه هذا الحديث ، بكى حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال : صدق الله ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ (١) .

وقد يسأل بعض الناس : لماذا هذا العذاب والوعيد الذي يتطاير شرره ، وقد فعل الخير ؟ والجواب : أن الإسلام يهتم بالباعث على العمل أكثر من العمل نفسه ، وقد عُلم بالفطرة أن التزوير من الإنسان على إنسان مثله من شر الرذائل ، وأبشع الجرائم ، فإذا كان التزوير من المخلوق على خالقه ، فالجريمة أبشع وأشنع ، وهذا هو عمل المرائي ، يعمل لوجه الناس ، وهو يريهم أنه يريد الله ، كذباً وزوراً ، فلا غرو أن يفضحه الله يوم تُبلى السرائر ، وإن

---

(١) هود : ١٥ - ١٦

يُسحب على وجهه إلى النار ! ولذلك قال قتادة : إذا راءى العبد قال الله لملائكته : انظروا إليه كيف يستهزئ بى ؟!

وعن أُبَىّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « بَشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالسَّنَاء وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالتَّمْكِينِ فِى الأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيب » (رواه أحمد (١) ، وابن حبَّان فى صحيحه ، والحاكم ، والبيهقى ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد) (٢) .

وفى رواية للبيهقى قال : قال رسول الله ﷺ : « بَشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالتَّيْسِيرِ ، وَالسَّنَاء ، وَالرِّفْعَةِ بالدِّينِ ، والتَّمْكِينِ فِى الْبِلادِ ، وَالنَّصْرِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْس لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ نَصيب » .

وعن جُنْدَب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَاءِ يُرَاءِ اللهُ بِهِ » (رواه البخارى ومسلم) .

« سَمَّع » - بتشديد الميم - ومعناه : مَن أظهر عَمَلَه للناس رياءً أظهر الله نيته الفاسدة فى عمله يوم القيامة ، وفَضَحهُ على رُءُوس الأشهاد .

وعن مُعاذ بن جَبَل عن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ عَبْد يَقُومُ فى الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاء إلا سَمَّعَ اللهُ بِهِ عَلَى رُءُوس الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (رواه الطبرانى بإسناد حسن) (٣) .

وعن محمود بن لَبيد قال : خرج النبى عليه الصلاة والسلام فقال : « يا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ » . قالوا : يا رسول الله ؛ وما شرك

---

(١) وقال الهيثمى : رواه أحمد وابنه من طرق ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، كما فى المجمع (١٠/ ٢٢٠) ، وهو فى « الموارد » برقم (١٠٢٥) .

(٢) ذكر المناوى فى الفيض : أن الذهبى أقره فى موضع ورده فى آخر ، وهذا صحيح ؛ لاختلاف الإسنادين فى الموضعين ، انظر : (٤/ ٣١١) ، وفيه وافق الذهبى الحاكم ، والآخر (٤/ ٣١٨) وفيه تعقَّبه .

(٣) وكذا قال الهيثمى (١٠/ ٢٢٣) .

السرائر ؟ قال : « يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ جَاهِداً لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ » (رواه ابن خزيمة فى صحيحه) (١) .

وعن زيد بن أَسْلَم عن أبيه ، أن عمر رضى الله عنه خرج إلى المسجد فوجد مُعاذاً عند قبر رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال : « اليَسِيرُ منَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ الله (٢) فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ ؛ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ الذين إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُم مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَخْرُجُونَ مِنْ كلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَة » (رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى فى كتاب الزهد له وغيره ، وقال الحاكم : صحيح ولا علّة له) (٣) .

وعن محمود بن لَبيد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « إِنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ عَلَيْكُم الشِّرْكُ الأصْغَرُ » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرِّياءُ . يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُم تُرَاءُونَ فى الدُّنْيَا فانْظُرُوا : هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً » ؟! (رواه أحمد بإسناد جيد (٤) ، وابن أبى الدنيا ، والبيهقى فى الزهد وغيره) .

---

(١) وهو الحديث (٩٣٧) منه ، وفى هامشه نبه الألبانى على أنه من رواية ابن لبيد عن جابر ، كما أخرجه البيهقى فى السنن (٢/ ٢٩٠ ، ٢٩٨) .

(٢) أولياء الله : هم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يونس : ٦٣) ، وهنا فى معنى الحديث القدسى عند البخارى : « مَن عَادَى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » .

(٣) رواه فى موضعين ووافقه الذهبى (١/ ٤ ، ٤/ ٣٢٨) ، وأما فى زوائد « ابن ماجه » فضعفه بابن لهيعة ، مع أن الراوى عنه هو عبد الله بن وهب ، والتحقيق : أنه إذا روى عنه أحد العبادلة - ومنهم ابن وهب - فحديثه مقبول ، ويصححه كثير من المحدثين ، وكان الأولى أن يضعف بعيسى بن عبد الرحمن - فى سند ابن ماجه - وهو متروك ، وسند الحاكم فى الموضع الأول ليس فيه ابن لهيعة ولا عيسى ، فهو الصحة ، وانظر : تخريجنا للحديث فى رسالة « نحو مشروع موسوعة للحديث النبوى » ، كما رواه الطبرانى من حديث ابن عمر ، وفى سنده ضعف ، كما قال الهيثمى فى المجمع .

(٤) وقال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (١/ ١٠٢) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال : « قال الله عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاء عَنِ الشِّرْك ؛ فَمَنْ عَمِلَ لِى عَمَلاً أَشْرَكَ فِيه غَيْرِى فَأَنَا مِنْهُ بَرِئٌ ، وَهُوَ لِلَّذِى أَشْرَكَ » (رواه ابن ماجه واللَّفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى ، ورواة ابن ماجه ثقاتٌ) (١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُخْتَمَةٍ ، فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَى اللهِ تَعَالَى ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَلْقُوا هَذه ، واقبلُوا هذه ، فَتَقُولُ الـمَلائكَةُ : وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ مَا رَأَيْنَا إِلا خَيْراً ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ ، إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِى ، وَإِنِّى لا أَقبَلُ إلا مَا ابْتُغِى بِه وَجْهِى » (رواه البزار والطبرانى بإسنادين ، رواة أحدهما رواة الصحيح (٢) ، والبيهقى) .

وعن أبى علىّ - رجل من بنى كاهل - قال : خَطَبَنَا أبو موسى الأشعرىُّ فقال : يا أيها الناس ؛ اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقام إليه عبد الله ابن حَزَنٍ وقيسُ بن المضارب ، فقالا : والله لتخرُجَنَّ مما قلت أو لنأتِيَنَّ عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون ، فقال : بل أخرج مما قلت ، خَطَبَنَا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ اتَّقُوا هذَا الشِّرْكَ فإِنَّه أخْفَى مِنْ دَبِيب النَّمْلِ » فقال له مَنْ شاءَ الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : « قُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِك مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُهُ » (رواه أحمد والطبرانى ، ورواته إلى أبى علىّ محتج بهم فى الصحيح ، وأبو علىّ وثَّقه ابن حبان (٣) ، ولم أر أحداً جرَّحه .

---

(١) وهو الحديث (٢ ٠ ٤٢٠) ، وفى الزوائد للبوصيرى : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، من سنن ابن ماجه ، وفات المنذرى أن يسنده إلى مسلم وهو فى كتاب « الزهد » منه ، ولكن لم يقل فيه : « فأنا منه برئ » ، بل قال : « تركته وشريكه » .

(٢) قال الهيثمى (١٠/ ٣٥٠) : رواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ، ورواه البزار .

(٣) ونحو هذا قاله الهيثمى ، إلا أنه عزاه إلى الطبرانى فى الكبير والأوسط (١٠/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه : « يقول كل يوم ثلاث مرات » (١) .

وكما حذَّرت الأحاديث النبوية من آفة الرياء ، حذَّرت من آفة أخرى هى : حب الجاه والشهرة ، والحرص على علو المكانة عند المخلوقين .

وقد جاء فى بعض الآثار : « حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب ، كما ينبت الماء البقل » (٢) .

وربما كان حب الجاه والمنزلة عند بعض الناس أهم بكثير من حب المال ، فقد يبذل المال طيّبَ النفس ، ليحصل على الجاه والشهرة ، وقد ذكر الإمام الغزالى أن الجاه أهم من المال لأوجه ثلاثة ذكرها . .

وقد جاء مرفوعاً من حديث كعب بن مالك : « ما ذئبان جَائعان أُرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (٣) .

والمراد بالشرف فى الحديث : المكانة والجاه عند الخلق .

وكل ما مضى من النصوص من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ ، فى التحذير من الرياء ، وحب المال والجاه والشهرة ، يدلنا بكل جلاء على خطر معاصى القلوب ، وآفاتها وآثارها المدمرة للأعمال التى ظاهرها الصلاح ، ولهذا كانت طاعات القلوب مُقدَّمة على طاعات الجوارح ، والإخلاص فى مقدمة هذه الطاعات ، لأنه شرط قبولها كلها ، فما حقيقة هذا الإخلاص ؟؟

هذا ما نبينه فى الفصل التالى .

* * *

---

(١) أورده الهيثمى فى المجمع وتكلم عليه (١٠/ ٢٢٤) .

(٢) ذكره الغزالى فى « الإحياء » على أنه حديث مرفوع ، وقال العراقى : لم أجد .

أقول : فحسبه أن يكون من كلام بعض السَّلَف .

(٣) رواه أحمد والترمذى عن كعب ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٥٦٢٠) ، والنسائى فى « الكبرى » كما فى تخريج أحاديث « الإحياء » للحافظ العراقى ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وشرحه الحافظ ابن رجب فى رسالة مستقلة .